المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

تجلّيات النزعة الإنسانية في الفكر الإعتزالي (اللطف الإلهي نموذجا)

د. مريم خليفة المبروك Dr.mariam.k@su.edu.ly
أستاذ مشارك بقسم الفلسفة، كلية الاداب، جامعة سرت – ليبيا.

الملخّص

تناول هذا البحث تجليات النزعة الإنسانية في الفكر الاعتزالي، وذلك من خلال مفهوم **اللطف الإلهي** والذي يمثل عنصرًا أساسيًا يكشف عن نزعتهم الإنسانيّة، إذ يرون أن الله تعالى يهيّئ للإنسان ما يعينه على الهداية دون أن يكرهه على الطاعة. ويرتكز هذا المفهوم على محورية الإنسان بوصفه كائنًا عاقلًا قادرًا على الاختيار، مما يجعل اللطف عونًا إلهيًا يعين الإنسان على اختيار الطاعة وترك المعصية، ويرتبط اللطف بالعدل الإلهي الذي يقتضي– وفق تصورهم – فعل الأصلح للإنسان، ويعدّ العقل وإرسال الرسل والشرائع من أبرز مظاهر هذا اللطف، والتي تؤكّد أن العلاقة بين الله والإنسان تعكس رؤية عقلانية إنسانية. وذلك من خلال عدة محاور بيّن الأول: مفهوم اللطف الإلهي وأوضح الثاني: أصل العدل الإلهي، وحللّ الثالث: فكرة وجوب اللطف الإلهي، واستعرض الرابع: تجليات مظاهر اللطف الإلهي، وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية

اللطف الإلهي، العدل الإلهي، وجوب اللطف، مظاهر اللطف الإلهي.

"Manifestations of Humanistic Tendencies in Muʿtazilite Thought: Divine Grace as a Model"

Maryam Khalifa Al-Mabrouk - Dr.mariam.k@su.edu.ly
Department of Philosophy, Faculty of Arts, Sirte University, Libya

Abstract

This research examines the manifestations of humanism in Mu'tazilite thought, specifically through the concept of divine grace, a fundamental element revealing their humanistic leanings. They believe that God provides humanity with the means to guidance without compelling obedience. This concept rests on the centrality of humanity as rational beings capable of choice, making grace a divine aid that helps individuals choose obedience and avoid disobedience. Grace is linked to divine justice, which, according to their understanding, necessitates acting in the best interest of humanity. Reason, the sending of messengers, and divine laws are among the most prominent manifestations of this grace, confirming that the relationship between God and humanity reflects a rational, humanistic perspective. The research is structured around several themes: the first clarifies the concept of divine grace; the second explains the origin of divine justice; the third analyzes the idea of the necessity of divine grace; and the fourth explores the manifestations of divine grace. The research concludes with a set of findings.

Keywords

Divine grace, divine justice, necessity of grace, manifestations of divine grace.

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

المقدمة :

يحتلّ مفهوم اللطف الإلهي مكانة محوريّة في الفكر الاعتزالي، إذ يمثّل إحدى أهم المسائل التي تتجلّى فيها النزعة الإنسانيّة لديهم. يقوم هذا المفهوم على أن الله، بحكم عدله وحكمته، يهيّئ للإنسان من الدواعي والظروف ما يعينه على اختيار الطاعة وترك المعصية، من غير أن يُكرهه أو يسلبه حرّيّته. وهو بذلك يجمع بين العناية الإلهية وكرامة الإنسان ومسؤوليته.

وانطلاقاً من إيمانهم العميق بالعدل الإلهي، صاغ المعتزلة نظريتهم مفهومهم عن الطف الإلهي، وبيّنوا معالمه بتفصيل يعكس تجلّيات واضحة للنزعة الإنسانية في علاقة الله بالإنسان، فالله سبحانه وتعالى مريداً لهداية الإنسان، فبعد أن خلقه كائناً مكلفاً مسؤولاً، وركّب فيه حب الشهوات والنزوع للقبائح، فضلاً عن اغواء الشيطان له–لم يتركه سبحانه وتعالى هملا دون عناية ولطف، بل مدّ له العون والتوفيق والهداية، ولم يدخر سبحانه عن خلّقه شيئاً من الألطاف مما يعلم أنه إذا فعله بهم لأتوا التوبة والطاعة. لذا تجلّي النزّعة الإنسانية لمفهوم اللطف ومظاهره حول الإنسان؛ فالمعتزلة يجعلون الإنسان مركز التكليف، ويعتبرون أنّ الله يوفّر له سُبل الهداية لأنّه كائن قادر على الفهم والاختيار. وهذا يستوجب إكمال العقل والإقدار على الفعل والاستطاعة، وتقوية الدواعي لفعل الخير، وتقوية الصوارف عن فعل الشر، وايضا إرسال الرسل، وإنزال الشرائع وإزاحة العلل والأسباب أمام المكلف لاختيار الطاعة وترك المعصية. فاللطف الإلهي ليس فعلًا قهريًا، بل هو عون غير مباشر يوافق طبيعة الإنسان العاقلة. وهذا يعكس رؤية عقلانية إنسانيّة تجعل الإنسان فاعلًا حرًّا وعاقلًا ومسؤولًا، وتُبرز عدل الله ورحمته وحكمته.

ويمكن أن نصوغ أهمية البحث والهدف منه في أنه:

أولاً: يسعى إلى الإجابة عن تساؤلات جادة، تكشف عن آراء المعتزلة ومقاصدهم الكلامية حول نظرية اللطف الإلهي، ثانياً: إماطة اللثام عن المذهب الإعتزالي وتقديمه في صورته الإسلامية من خلال نصوص المعتزلة وآرائهم حول اللطف الإلهي، بعيداً عن آراء خصومهم، والالتزامات المذهبية المتعصبة، وثالثاً: تسليط الضوء على مفهوم اللطف الإلهي ووجوبه، وبيان أهم مظاهرها، ومن ثم الكشف عن النزعة الإنسانية التفاؤلية التي تسود بنائهم الفكري الكلامي.

من هنا فإن الإشكالية التي يطرحها البحث هي:

هل يعكس اللطف الإلهي تجليات النزعة الإنسانية عند المعتزلة، ويتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات عدة منها:

- هل اللطف الإلهي له تأثير في الجاء الفاعل على اختيار الطاعة أم لا؟
- ماذا يعني المعتزلة بفكرة الوجوب الإلهي؟
- ما هي أهم تجليات النزعة الإنسانية لمظاهر اللطف الإلهي؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على: المنهج التحليلي لعرض كافة آراء المعتزلة المتصلة بنظرية اللطف الإلهي وتحليلها، مع الالتزام بالموضوعية باعتبارها شرط أساسي للدراسة العملية.

أما خطة: فقد اشتملت على مقدمة وأهمية البحث والهدف منه والإشكالية المراد دراستها كما تضمنت المحاور التالية: أولاً: مفهوم اللطف الإلهي. ثانيا: العدل الإلهي أصل القول باللطف عند المعتزلة. ثالثاً: وجوب اللطف الإلهي. رابعاً: مظاهر تجليات اللطف الإلهي.

وخاتمة تضمنت أهم النتائج.

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

أولاً: مفهوم اللطف الإلهي

قبل الخوض في إشكالية الدراسة، نرى من الضروري استجلاء وتحديد مفهوم اللطف الإلهي في اللغة: **حيث** تتفق أغلب المعاجم على أن اللطف لغة يراد بها الرفق واللين والتحفي والبر والملاطفة والتكرمة، فيحدد ابن منظور في لسان العرب اللطف بقوله: "اللطف: التكرمة والبر والتحفيّ، لطف به لُطفاً وألطفته: أتحفته. وألطفه بكذا بره به .... " (ابن منظور-1414هـ-316)، كما ورد اللطف في مختار القاموس: "لطف: رفق، ولطف الله لك: أوصل إليك مرادك بلطف" (الزاوي-د.ت-551).

وقد ورد وصف الله سبحانه وتعالى باللطيف بمعنى: "البر بعباده والحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق ولطف بخفايا المور ودقائقها...". (الزاوي-د.ت. 551)، يقول تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (سورة الشورى الأية: 19). بمعنى الإحسان إلى عباده والرفق بهم والتوفيق إلى ما فيه صلاحهم ونفعهم. (الفيروز أبادي-2005-853).

وبهذا يدور المعنى اللغوي اللطف حول الرفق والبر والتحفي والتكرمة والتوفيق والهداية.

أما في اصطلاح المعتزلة: فاللطف عموماً صفة تلحق الفعل الإلهي؛ انطلاقاً من الحكمة والعدل الإلهيّن. ويقصد به عند المعتزلة نوع من التيسير والعون أو التوفيق والهداية لمساعدة الإنسان ليفعل الخير ويبتعد عن الشر، وذلك بتهيئة الظروف المناسبة لذلك.

فالله سبحانه وتعالى قد كلف الإنسان بالطاعة ليثاب على ما يلحق به من تعب ومشقة في اختيار الطاعة وإتيانها، وترك المعصية واجتنابها، ولطف به في تهيئة دواعي الترغيب المتعددة بحسب تنوع الطبيعة البشرية، كما رهبه من المعاصي بدواعي الصوارف لترك المعصية.

وقد استشهد المعتزلة على رأيهم في اللطف بالعديد من الآيات التي تتحدث عن لطف الله ورحمته وعنايته بالعباد؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (سورة النساء الآية:83)، والمغزى الحقيقي لهذه الآية أنه لولا فضل الله ورحمته أي اللطف لاتبع الإنسان الشيطان. وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ ﴾ (سورة الزخرف الآية: 32) ، ومغزى هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل العباد أمة واحدة على الكفر، لأن عدم وقوع ما تعلقت به المشيئة يدل على إرادته لما خلافة ، وفي ذلك لطف ورحمة بعباده. (عبد الجبار-1962م-195-190).

ولكي يفهم اللطف عند المعتزلة فهماً صحيحاً فلابد من استيعاب نوعين رئيسيين لتفادي الوقوع في الخلط بينهما: **الأول اللطف المقرَّب:** ويراد به اللطف الذي يقرّب العبد للطاعة ويبعده كل البعد عن المعصية دون أن يكون هنا أي نوع من الإلجاء ويبّين القاضي عبد الجبار ذلك في تعريفه للطف قائلا: "اللطف: بأنه كل ما يختار المرء عنده الواجب، ويتجنب القبيح، أو ما يكون عنده أقرب إلى اختيار الواجب أو ترك القبيح مع تمكنه من الفعل في الحالتين". (عبد الجبار-1965م-1591). فالفكرة الأساسية التي يقوم عليها اللطف المقرَّب تتمثل في أنّ الله تعالى لو لم يُخْر هذا اللطف، لبقيت قدرة المكلَّف على اختيار الطاعة وترك المعصية قائمة في كل الأحوال، الغاية من ذلك أن الله تعالى بلطفه، يهيئ للعبد يقربه للطاعة، ويبعده عن المعصية. (حب الله-

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

2023م-13). **الثاني اللطف المحصَّل**: ويراد به كل فعل يفعله الله سبحانه وتعالى بحيث يتمكن المكلَّف بوجوده من تحقيق الطاعة، ولا يستطيع المكلَّف إتيان الطاعة اختيارا عند عدمه، فإذا كان الفعل متعلقا بفعل الطاعة سُمي توفيقاً، وإذا تعلق بترك المعصية سُمي عصمة، وهذا عند النظر إلى مرحلة ما بعد تحقق الطاعة من المكلَّف، إذ بعد وقوعها ينسب حصولها إلى لطف الله تعالى.

وبناء على هذا يدور كل من اللطف المقرَّب والمحصَّل حول إمكانية قدرة المكلَّف على أداء الطاعة مع اللطف أو من دونه، وقد عُبّر عن اللطف المحصَّل بهذا المسمى لأن الطاعة تتحقق بالفعل بسببه، لذلك اشترط فيه قيد تحقق الطاعة من العبد للإشارة إلى أن ما صدر من المكلَّف من طاعة كان مرتبطا بهذا اللطف. أما في اللطف المقرَّب فلم يؤخذ قيد تحقق الطاعة من المكلف للإشارة إلى أن الطاعة ليست متوقفة على حصول اللطف، بل أن دوره يقتصر على تهيئة المكلف وتحفيزه نحو الطاعة لا أكثر، **ولتقريب الفكرة** : عندما نقول بأن غرض الله تعالى هو عبادة العباد له وطاعتهم ، ثم نقول إنَّ النبوَّة تحقق هذا الغرض ، فمعنى ذلك أنَّ بعثة الأنبياء تُعدَّ لطفاً محصّلاً بالنسبّة لمن تحقق فيهم الطاعة، أما إذا قلنا بأن العباد قادرون على طاعة الله تعالى من دون بعثة الأنبياء، لكن هذه البعثة تقرّبهم من تحقيق الطاعة، دون أن نلاحظ تحقق الطاعة منهم بعد ،فإن هذا يُعد لطفاً مقرّباً .(حب الله-2023م- 13-14).

يمكن أن نستخلص أمرين هامين من تعريف اللطف كما يورده المعتزلة، **أولهما**: لا يمكن أن يوصف اللطف بأنه نوعاً من الإلجاء أو الجبر المفروض على المكلَّف، بقدر ما هو تذكير أو دافع لطاعة يعلم الله سبحانه وتعالى أن المكلَّف يفعلها دون أن تخرج عن متناول قدرته وحريته في

الفعل، أي هو نوع من التوفيق والعصمة يعرضان للإنسان حين تعمده إرادته الحرة المختارة لإتيان اطاعة، أو ترك المعصية.

من هنا أنكر المعتزلة على خصومهم انتقادهم للطف، أو الخوض فيه طالما لا يقرَّون بحرية العبد واختياره، ومن ثم فلا مجال لنظرية اللطف مع الاعتقاد بالجبر. **وثانيهما**: الغرض العام من اللطف هو تقوية الدواعي لفعل الطاعة، وتقوية الصوارف لترك المعصية، أي التهيئة الظروف وإزاحة العلة أمام المكلف ليكون أقرب إلى إتيان الفعل من غير ان يجبر عليه.

وفي هذا السياق نود طرح السؤال التالي: إذا كان اللطف عند المعتزلة بهذه الكيفية، فما الفرق بينه وبين التمكين إذن؟ يفترق معنى اللطف عن معنى التمكين عند المعتزلة، لأن التمكين من الشيء قد يكون تمكين لخلافة، بمعنى أن التمكين يشمل الشيء وضده، كتمكين الإنسان من فعل الخير أو الشر، أما اللطف فهو تمكين لفعل الخير فقط.

لأجل هذا اقتصر اللطف عند المعتزلة على الأمور الدينية فقط لأنهم خصصوه للأفعال التي يكون فيها المكلَّف أقرب ما يكون إلى فعل الطاعة للاستحقاق الثواب. واعتبروا الكثير من الأفعال الإلهية والتكاليف مظهراً من مظاهر اللطف ، لأن هذه الأوامر قد روعي فيها الحكمة والمصلحة، فهي لا تكون إلا لغاية أو وسيلة محمودة فقط (الجليند-2006م-332-333).

ثانيا: العدل الإلهي أصل القول باللطف عند المعتزلة

قد لا يختلف اثنان على أنه من غير المعقول، بل من

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

الصعوبة بمكان الحديث عن اللطف الإلهي عند المعتزلة بمعزل عن استدعاء مفهوم العدل الإلهي الذي يعد من أهم أصولهم الخمسة، فالعدل الإلهي هو أساس وأصل القول باللطف عندهم. وذلك للصلة الوثيقة بينهما، لأن العدل صفة من صفات الله تعالى، وبمقتضى هذه الصفة يجب أن ننفي الظلم والتعسف والشر عنه تعالى فكل ما يصدر عنه خير.

فالعدل في اصطلاح المعتزلة هو كل فعل حسن يفعله الفاعل، لينتفع به غيره، فالله تعالى عادل، وأفعاله كلها حسنة، بمعنى أنه لا يفعل القبيح ولا يختاره، وهذا ما يشير إليه القاضي عبد الجبار بقوله: "وإذ وصفنا القديم تعالى بأنه حكيم عدل، فالمراد به أنّه لا يفعل القبيح ولا يختاره، ولا يُخِلُّ بما هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حسنة" (عبد الجبار-1965م-124).

وأيضا هذا ما عبَّر عنه **الشهرستاني** في تعريف العدل عند المعتزلة بقوله: هو ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو لإصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، فالعقل يقتضي في نظرهم أن تكون جميع الأفعال الصادرة من الله والمتعلقة بالإنسان المكلف بمقتضى الحكمة وعلى وجه المصلحة، وهذا الفهم الخاص للعدل يظهر بالتأكيد نزعتهم الأخلاقية إذا ما قارناها بمفهوم العدل لدى الأشاعرة: " الله تعالى متصرف في مُلكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فالعدل وضع الشيء موضعه والتصرف في الملك بمقتضى المشيئة والعلم" (الشهرستاني – 1975م-52).

يُعد هذا الإختلاف بين المعتزلة والأشاعرة في فهمهما لمفهوم العدل أساس كلَّ ما تلا من خلافات بينهما، إذ فسّر المعتزلة أفعال الله المتعلقة بالإنسان في إطار العدل والحكمة، أي بما ينسجم مع ما يدركه العقل ويحكم به وهو توجه أخلاقي، أما الأشاعرة ففسَّروا تلك الأفعال بما ينسجم مع القداسة الواجبة لله وهو اتجاه ديني خالص.

لأجل هذا أراد المعتزلة بمبدأ العدل تنزيه الله عن الظلم، وأن أفعاله كلها حسنة، ولا يجور في حكمه، ولأن العدل رأس الفضائل التي تحكم علاقة بين الله والإنسان، فجعلوا أفعاله سبحانه وتعالى تهدف إلى تحقيق حكمة وتحصيل غاية، لنفي العبث عنه تعالى وعن أفعاله، والهدف من ذلك بيان الغايات الحميدة والحكمة منها التي تظهر للناس في صور مختلفة.

وبمقتضى حكمته وعدله سبحانه وتعالى تصبح أفعاله تعالى متجهة لتحقيق غايات، وأغراض هادفة، لأن الفعل الخالي من الغرض والغاية يوصف بالعبث، تعالى الله سبحانه عن ذلك، غير أن الغاية والغرض لا يعودان إليه، لأنه غني على الإطلاق، وإنما يعودان إلى صلاح العباد ونفعهم بما في ذلك جميع الألطاف. (الشهرستاني – 1931م-398).

ثالثا: وجوب اللطف الإلهي

لقد أثارت فكرة وجوب اللطف نقطة خلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، ومدار هذا الخلاف يدور حول إجابة السؤال التالي: هل يجب على المكلّف فعل اللطف بالمكلّف أم لا؟ تباينت إجابات المعتزلة حول هذه الفكرة فقد ذهب البصريون وفي مقدمتهم أبو علي الجبائي و أبو هاشم الجبائي إلى أن هداية الناس لا تتحقق إلا من خلال اللطف الإلهي، فتمسكوا بفكرة الوجوب وأولوها اهتمامهم، ولقد حكى أبو الحسن الأشعري عن رأي أبو علي الجبائي في هذه المسألة بقوله: "كان أبو علي الجبائي يرى في هذه المسألة أن الله فعل بعباده ما هو أصلح لهم في دينهم، ولو كان في

Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

معلومه شيء يؤمنون به أو يصلحون عنده ، ثم لم يفعله لكان مريداً لفسادهم، غير أنه يقدر أن يفعل بعباده ما لو فعله بهم ازدادوا طاعة فيزيدهم ثواباً..." (الأشعري- 1990م-314).

يتبين من هذا النص أن أبو علي الجبائي يرى وجوب اللطف من جهة كونه وسيلة ضرورية لهداية الناس وفعل ما هو أصلح بهم، فالوجوب هنا من باب استكمال الغرض، إما اثبات قدر زائد يمكن أن يزداد به الطاعة لمضاعفة الثواب، لا يدخل في دائرة الوجوب، بل يعد من مظاهر التفضل والإحسان الإلهي، دون أن يكون ملزماً به.

وإلى مثل هذا الرأي ذهب ابنه أبو هاشم الجبائي إلى القول بوجوب اللطف، لاعتقاده بأن سبحانه وتعالى لو لم يلطف ببعض عباده لما حسن منه أن يلومهم أو يعاتبهم أو يذمهم على فعل المعصية، وكذلك في حال استفزه في فعل ما كلف به أو أمره بالقبيح فإنه لا يذم ولا يعاقب.

وهنا يخالف القاضي عبد الجبار رأي أبو هاشم، قائلاً: فقط تسقط العقوبة فقط، أما الذم مستحق لفعله القبيح مع العلم المسبق به فلا يسقط، بل يترتب عليه مجرد فعل القبيح بغض النظر في التكليف به. (عبد الجبار-1962م-74-75).

وعلى الرغم من اتفاق معتزلة البصرة على وجوب اللطف، إلا أنهم اختلفوا في حال وجوبه، فذهب غالبيتهم إلى وجوبه في كل حال كعلي وابنه هاشم الجبائي، بينما اكتفى البعض إلى وجوبه في بعض الأحوال وليس كلها.

في حين رفض بعض معتزلة بغداد وعلى رأسهم بشر بن المعتمر فكرة الوجوب التي تلزم الله الهداية لاعتقادهم بأن الفعل الإلهي فعل اختياري، يمنح اللطف لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، وإنه لا وجوب في منح هذا اللطف أصلاً.

هـذا وقد استند بشر بن المعتمر في رفضه لمبدأ الوجوب على أن الفعل الإلهي اختياري قادر على لطيفة لو فعلها بمن علم أنه لا يؤمن لآمن، ولو كان اللطف واجباً على الله تعالى لما بقي في العالم كافر، وذلك يقضي بانتقاء الثواب والعقاب (الخياط-1925م-64-65).

وقد أنكرت معتزلة البصرة قول بشر بن المعتمر هذا وناظرته فيه وحجتهم في ذلك بأن اللطف ليس بلطف لذاته، حتى يلزم المكلف فعل الطاعة، وإنما يكون لطفاً لقرائن تقترن من أحوال المكلّف، فإذا كان مائلً إلى الدين تكون تلك الأفعال لطفاً له، وإذا كان نافراً عن الدين لم تكن تلك الأفعال لطفاً له، من أجل هذا اختلفت ألطاف الشرع كالعبادات الشرعية في الأوقات والمكلفين، كذلك اختلفت شرائع الأنبياء عليهم السلام (الكساسبة-2016م-169).

كذلك انتقد القاضي عبد الجبار بشر بن المعتمر في مواضع متفرقة من كتابه المغني، وكان يُسمى بشر وأتباعه بأصحاب اللطف، والسبب في هذه التسمية يرجع لقولهم: "أن في مقدوره تعالى ما لو فعله بالكافر لآمن عنده، لكنه لم يفعل ذلك، لأن قد أزاح العلة ومكن. ولذلك سميناهم أصحاب اللطف لإثباتهم في مقدور الله تعالى ما ننفيه، وإن كنا نحن نثبت اللطف واجباً وداخلاً في الوجوب، وهم ينفون ذلك" (عبد الجبار-1962م-200). وعلتهم في ذلك أن اللطف لو وجب على الله سبحانه وتعالى، لكان لا يوجد في هذا العالم عاصي.

والأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ يواصل القاضي عبد الجبار

Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

نقده بشر بن المعتمر قائلاً: "فأما عندنا، فإن الأمر بخلاف ما يقوله بشر بن المعتمر وأصحابه؛ إذ ليس يمنع أن يكون في المكلفين من يعلم الله تعالى من حاله أنه إن فعل بعض الأفعال عند ذلك يختار الواجب ويتجنب القبيح، أو يكون أقرب إلى ذلك ..." (عبد الجبار-1986م-352).

وبهذا النقد يسجل القاضي عبد الجبار موقفاً معتدلا جديداً حول فكرة الوجوب على الله، فبالقدر الذي أختلف فيه مع بشر بن المعتمر وأتباعه من معتزلة بغداد، فقد رفض أيضا موقف معتزلة البصرة الذين أوجبوا اللطف على الله بصورة مطلقة، وقد قدم بديلا نظريًا في اللطف أكثر ضبطآ، فوضع تصورا واضحا لمعنى اللطف مبيناً أنه: كل يجعل الانسان يختار عنده الواجب ويتجنب القبيح أو ما يقربه من اختيار الواجب أو ترك القبيح ما تمكينه من الفعل في الحالتين، سواء وجود الفعل أو لم يوجد.

ولبيان الفرق بين القاضي وشيوخ المعتزلة في أن شيوخهم أطلقوا القول بوجوب اللطف بينما قيّده القاضي عبد الجبار، فقوام اللطف عند القاضي يقتضي: إما أن يكون مقدماً للتكليف أو مقارناً له أو متأخراً عنه **ولتوضيح ذلك: الأول**: ما كان متقدماً على التكليف، وهذا لا يجب على الله سبحانه وتعالى، والسبب كان لإزاحة علة التكليف، **كذلك الحال في الثاني**: ما يكون مقارناً للتكليف، وهذا غير واجب على الله، والسبب لأنه يجري مجرى التمكين. **أما الثالث**: ما يكون متأخراً عن التكليف، وهذا هو الذي يجب على الله (عبد الجبار، 1996م، 520-521).

وبناءً على هذا وضع القاضي عبد الجبار شروطاً للطف الواجب، منها **ما يتعلق بالفعل**: كأن يكون الفعل موجوداً لا معدوماً، وأن يكون الفعل حسناً لأن اللطف من فعل الله وبهذا يجب أن تنتفي عنه صيغة القبح، لأن أفعاله سبحانه كلها حسنة، أيضاً ألا يصل اللطف بالعبد إلى حد الإلجاء والاضطرار لن ذلك ينتفي الاختيار الذي هو أساس التكليف.

أما الشروط المتعلقة المكلَّف، فأهمها: أن يكون المكلَّف عالماً بحقيقة اللطف، وبالفعل الذي يعد لطفاً له، وما بينهما تعلق، أي يعلم تعلقه بالملطوف فيه جملة وتفصيل، وجود علاقة بين الفعل وحال المكلَّف، وتختلف هذه العلاقة بحسب حال المكلَّف، فمثلاً يعتبر الإنسان المرض لطفاً في فعل الواجب وترك القبيح لما يلاحظه من قلق المريض وقلة تحمله الألم الذي يعد يسيراً إذا قورن بعذاب الآخرة، ومن هنا يأتي الاعتبار الذي هو مقصود اللطف (الجليند-2010م-334).

وفي ختام الحديث عن فكرة وجوب اللطف الإلهي عند المعتزلة، لابّد من الإشارة إلى أن هذه الفكرة لم تحظ بقبول واسع في أوساط المتكلمين، وتحديداً الأشاعرة الذين رفضوا الفكرة من حيث الأصل، ونفوا جواز أي وجوب عقلي على الله سبحانه وتعالى سواء في اللطف أو غيره انطلاقاً من موقفهم الرافض للتحسين والتقبيح العقليين، واعتبار الحسن والقبيح أمور متلقاه من الشرع لا دخل للعقل فيها فالحسن ما حسنه الشرع وجازه وسوغه، والقبح ما قبحه الشرع ونهى عنه (الباقلاني -2000م-47).

هذا إلى جانب رفضهم لفكرة تعليل أفعال الله سبحانه وتعالى بغاية أو غرض وذلك صوناً لمقام الألوهية وتنزيه الله عن أن يكون فعل مضطراً إليه أو متأثر بشيء خارج عنه، فالله فاعل بالاختيار لا بالاضطرار ويقرر (الجويني) هذا المعنى بقوله: " أن أفعال القديم سبحانه وتعالى لا تعلل

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

بأغراض، ويبطل فيها القول: إنما خلق الخلق، وأبدع العالم لنفع أو دفع ضرر..." (الجويني-1969م-619). فأفعاله سبحانه وتعالى واضعة على وفق علمه الأزلي ووفق حكمته ومشيئته. واستقلالها عن أي وجوب عقلي، وغير ذلك من الأدلة التي لا يتسع المقام لعرضها هنا بالتفصيل.

وتظل فكرة وجوب اللطف نقطة خلافية بين الفرق الكلامية، تعكس أصل اختلاف فهم العلاقة بين العقل والنقل، أو بين اللطف والحكمة الإلهية.

ومع ذلك فمن الإنصاف رفع الاتهام عن المعتزلة وتبرئتهم مما نسب إليهم في هذه المسألة، فقولهم بوجوب اللطف لا يعني مطلقاً تطاولا على الذات الإلهية – حاشا لله-لأنهم يقصدون هنا بالوجوب العقلي ولهذا معنى خاصاً، وهو ما تقتضيه الحكمة والعدل الإلهيين، وليس المعنى الظاهر لوجوب الحتمي والإلزامي، وهذا ما لم يدركه خصومهم

رابعاً: تجليات اللطف الإلهي عند المعتزلة

إن الحديث عن وجوب اللطف الإلهي-كما سبقت الإشارة- يستوجب الحديث أيضا عن أهم تجليات هذا اللطف والتي تتمظهر في ثلاثة مظاهر رئيسية هي:

1- إكمال العقل: يعتبر أول مقتضيات التكليف، وأوجب الإلطاف، وأعظمها أهمية للإنسان المكلف عند المعتزلة، إذ لا تكليف لغير العاقل كالصبي والمجنون أو الطفل لم يبلغ سن الرشد لأنه يجب فيمن لزمه شيء أن يعلمه وأن يميز بينه وبين غيره، وأن يعلم على وجه ما اختص به من صفات، حتى يصح منه أن يفعله على وجه التحديد، أما إذا لم يعلم ذلك ولم يتمكن من معرفته، فيصبح التكليف هنا بمنزلة التكليف بما لا يطاق ولا يقدر عليه (عبد الجبار-1965م-236). وبما أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل الإنسان بالعقل وخصه به عن سائر مخلوقاته، ثم كلّفه إدراك الشرعيات و العقليات ، فقد وجب على الإنسان النظر المؤدي إلى المعرفة التي يصبح بها قادراً على معرفة الله والشرائع والحسن والقبح واكتساب المعارف، وأداء الواجبات التي بها يتحقق الغرض من التكليف، فلن يستوي حال الإنسان بعد النظر وحصول كما كان قبله ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر الآية: 9)، ومن ثم وجب على الإنسان الاستدلال والنظر ليصل الإنسان إلى الكشف المؤدي لخيره وصلاحه، وقد بيَّن القاضي عبد الجبار ذلك بقوله: "فأما العقل فإن المكلف يحتاج إليه؛ لأن به يعلم الكثير مما كلف، نحو وجوب رد الوديعة وشكر المنعم، وقبح الظلم، وحسن الاحسان، ويتوصل به إلى بسائر ما كلف به عقلاً وسمعاً مما طريقه الاستدلال، لأنه يصح منه أن ينظر في الأدلة ألا وهو كامل العقل، ...لأنه متى لم يكن عاقلا لم يصح أن يؤديها على الوجه الذي يستحق به الثواب والعقاب" (عبد الجبار-1965م-375).

وحقيقة الأمر أن اهتمام المعتزلة بالعقل واعتباره الطريق الوحيد للوصول للمعرفة، لم يكن منصبا على قيمته العقل النظرية في اكتساب المعارف فحسب، بل كان موجها بالدرجة الأولى إلى قيمته العملية في توجيه الإنسان وتهذيب أخلاقيا، فالمعتزلة حين يتحدثون عن العقل، إنما يقصدون به العقل العملي الأخلاقي، الذي يُعدَّ أساس المسئوولية الخلقية، ويربطون مباشرة بالتكلّيف (صبحي، 1983م، 67-68).

وعليه فاللطف الإلهي لازم عن التكليف، فإن الله تعالى خلق الانسان على صفات لابد أن يكلّف بمقتضاها: إذ جعله حراً مختاراً يقدم على الفعل أو يمتنع عنه بإرادته ، فلا يكلف العاجز، فإذا زالت القدرة والاستطاعة سقط التكليف، فلا

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

تكليف على المكره والمضطر، فمن شروط التكليف أن يكون الانسان مستجمعاً لمؤهلات التكليف كالعقل والقدرة والاستطاعة وحرية الاختيار والإرادة ، هذا الى جانب يصاحب التكليف من مشقة، حتى يستطيع المكلّف الاختيار بين دواعي الفعل الترك، لذا اقتضت عناية الله ولطف أن يعين المكلّف على ما كلف به من التمكين، وإزاحة العلل، وخلق الإدارة، والوعد بالثواب على الفعل الحسن.

لأجل هذا فالتكليف هو السبيل الوحيد لاستحقاق الثواب. إذ لا يستطيع المكلف أن يصل إلى استحقاق في ثواب الله سبحانه وتعالى إلا باللطف، ومن عظيم لطف الله سبحانه وتعالى أن أقدر عباده على ما كلفهم به، وقوّى دواعيهم وأزاح ... وهذا الإقدار يستوي فيه المؤمن والكافر، الفرق أن المؤمن أحسن الاختيار لنفسه ووظف عقله فأمن، والكافر لم يحسن الاختيار وأختار لنفسه الشقاوة فلم يؤمن، ولهذا يكون الله متفضلاً عليهما جميعاً، شاملاً لهما بلطفه. (الجليند-2006م-350).

ثانياً: الشرعيات:

لما كان الله مريداً هداية الإنسان، لم يمكنه بالعقل فقط، وإن كان بمقتضى العقل يستطيع أن يميز الحسن والقبح، بل ألزمه أيضا بالشرعيات من حيث هي ألطاف في العقليات، إذ عندها يكون المكلف أقرب إلى اختيار الطاعة وأداء الأعمال الصالحة. فلقد بيّن الله تعالى ما هو قبيح بالشرع، وعلّمنا أن يقبح لكونه مفسدة، وأمرنا بالابتعاد عنه لأجل قبحه، وليس من أجل الثواب، فليس الثواب هو الذي يوجب الفعل أو الترك، فإن فقد الثواب لا يقدح في وجوب الفعل، إنما نكون الشرائع ملزمة لأن المكلّف يعلم أن الله حين أوجبها قد حسن منه الإيجاب بمقتضى حكمته لكونها لطفاً دون نظر إلى ثواب الله. (عبد الجبار-1962م-164)

وبما أن الشرائع قد فرضت لأنها من جملة الألطاف في العقليات، صار من الواجب بيان جهة الوجوب والحكمة من التشريع، كما صار واجبا على المكلّف أن يستنبط الأحكام ليكشف طبيعة ما ورد فيها من وجوب أو تحريم، فالمشرّع حين بيّن أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أشار إلى إن ترك الفحشاء يتحقق بالمداومة على الصلاة، ومن مقتضى حكمته تعالى أن تتقارب أوقاتها لتكون متواصلة حالاً بعد حال، أما الطهارة فقد فُرضت بالصورة التي أوضحها الشرع، لأنها شرط لصحة الصلاة، وكل ما كان شرطاً في تحقيق اللطف نفسه ، كأن تكون الصلاة في وقت مخصص لها، ويؤدي لها فعل مخصوص هو الوضوء بالماء الطاهر. (صبحي-1983م-71) فأداء الفرائض تجعل الإنسان أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، ولا مجال للاعتراض هنا أن المكلف من يفعل الفريضة، ولا يمتنع عن الفساد إذ لا يمكن الفصل بين إرادة التكليف وإرادة اللطف، " فالداعي إلى التكليف هو الداعي إلى اللطف والدلالة على قبح الفساد تقوم مقام الدلالة على وجوب اللطف، ولا يحصل اللطف إلا بارتفاع الفساد فمن لم تنهه صلاته عن الفاحشة لم يزدد من الله إلا بعداً". (صبحي، 2002، 147)

يعكس هذا النص مدى تمسك المعتزلة بوحدة الدين والأخلاق، رافضين بذلك أي محاولة لعزل الفروض الشرعية عن دلالتها الأخلاقية، فالصلاة ليس مجرد أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، بل هي تجسيد لمبادئ أخلاقية عميقة.

وبما أن العقليات تجب لذاتها عند المعتزلة، فإن السمعيات (الشرائع) كذلك تجب لذاتها لأنها تؤدي إلى الحسن لكونها لطفاً، فليس ترك الصلاة بأهون من الكذب، كما أن اللطف

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

لا يقتصر على افترضه الله على عباده من الفرائض والواجبات فحسب، بل يمتد ليشتمل كل ما بيَّنه الدين من أحكام وتشريعات، إذا أنها جميعا تُعد من مظاهر اللطف الإلهي من حيث ما يلزم عنها من مصلحة. غير أن الشرعيات لا تكون لطفاً، إلا إذ أفصحت نصوص الكتاب المشتمل على الأحكام عن المراد من الخطاب تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (سورة النساء: 82)، إذ في هذه الآية إشارة إلى وجوب إعمال العقل ودليل النظر والاستدلال في فهم النصوص القرآنية واستجلاء مقاصدها. (صبحي، 1983، 75).

يتضح من هذا أن المعتزلة لا يقتصرون على الحجج العقلية لنصرة آرائهم، بل إنهم يؤلون اهتمامهم شطر الأدلة النقلية أي النصوص القرآنية ليعززوا بها براهينهم العقلية، معنى هذا أن الشرعيات عند المعتزلة تأتي موكدة على الواجبات التي وردت في العقول، أي يمكن إدراكها بالعقل، وايضا تأتي شارحة لما اكتمل في العقول، لذا يكشف العقل القواعد الكلية، وتعين الشريعة الأفعال الواجبة، فما يتقرر في العقل وجوب شكر الخالق وعبادته، فإن الشريعة تعين على هذه العبادات وتبين شروطها وأوقاتها وأماكنها. (السيد-1998م-158)

وبهذا تدرك المعتزلة حدود العقل التي لا يستطيع تجاوزها، فبالرغم من اقرارهم بالحسن والقبح العقلين، إلا أنهم يثبتون كذلك حسن وقبح شرعيين، فالحسن الشرعي لا يستطيع العقل إدراك وجه الحسن أو القبح فيهما، لأن الشرع وحده هو الذي يبين ذلك. فالشرائع تأتي إما منبهة للعقل مما غفل عنه، أو مقيدة و ضابطة لأحكامه، لذلك كانت الشريعة ضرورة إذ علمنا أن العقل لا يهتدي إلا لما دَّل عليه بدليل عقلي واضح ، أما ما ليس كذلك، فلا سبيل له إليه ، وهناك أفعال لا يكون العبد عند فعلها أقرب إلى أداء الواجبات أو اجتناب القبيح ، ومعرفة أنها من باب اللطف لا تدرك بالدليل العقلي، وذلك لاختلاف أحوال المكلَّفين، باختلاف الأزمنة والاماكن والظروف ، فما يكون واجب على مكلَّف قد يكون محظورا على آخر، وما يحسن من أحد قد يكون قبيحا من غيره ، ولا تعرف هذه الفروق إلا بالشرع ، و إلا كيف يمكن للعقل أن يدرك أن الصلاة بلا طهارة لا تعين على أداء الواجبات ، بل تكون داعية الى فعل القبيح . (عبد الجبار – 1963م-93).

3-بعثة الأنبياء: تعد من أهم مظاهر اللطف الإلهي، فالحكمة من بعثة الأنبياء فضلاً عن تبليغ الدعوة وما حملوه من تفضيل أمور الدين وتعليم الشرائع، إزاحة العلة، وبيان أحوال التكليف، و وإلزام الحجة حتى لا يقولوا يوم العرض لولا أسلت إلينا رسولاً، وإن كانت الحجة قد ألزمتهم قبل إرسال الرسل بأدلة العقل فإن الرسل تقوى الحجة، لاسيما أن الكفار في نار جهنم يقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. (سورة الملك الآية: 10).

لأجل هذا تعتبر المعتزلة – أن بعثة الأنبياء لطفاً من الله تعالى لتنبيه العباد وحث عقولهم على النظر، وهذا ما يقرِّره الجبائي بقوله: إن بعثة الرسل وسن الشرائع، وتمهيد الأحكام، والتنبيه على الطريق الصحيح جميعها ألطاف. (الشهرستاني-1975م-81) ، وبما أن اللطف الإلهي هو كل ما يوصل الإنسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية لأن الله سبحانه لا يريد إلا النفع والصلاح لعباده كانت " بعثة الأنبياء للناس، إنما هو رشاد لهم هدى نحو طريق الحق مجنباً إياهم الشر الذي يؤدي إلى فرقتهم وشتاتهم ". (عبد الجبار-1962م-514)

فقد استشهد المعتزلة – بآيات كثيرة – ليثبتوا صحة

المجلة العلمية لكلية التربية / جامعة سرت/المجلد (5) العدد (1)
Faculty of Education journal / Sirte University (Vol (5) No (1))
Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

ما ذهبوا إليه في اعتبار بصفة الأنبياء لطفاً إلهياً للتنبيه والحث على النظر، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (سورة النساء:165)

يذهب المعتزلة في تأويل هذه الآية إلى أن العباد ليس لهم من حجة قبل بعثة الأنبياء؛ لأن الحجة لازمة عليهم بالعقل، مؤكدين على أن الهدف من بعثة الأنبياء الحث على النظر، والتنبيه من الغفلة والنسيان التي يقع فيها العباد فيقولون ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً يوقظنا من الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه إليه، فالرسول متمم لحجة العقل ، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (سورة الإسراء:15)، حاول الزمخشري في كتابه الكشاف تفسير هذه الآية: إن الحكمة الإلهية اقتضت ألا يعذب الله الناس إلا بعد أن يبعث فيهم رسولاً يلزمهم الحجة، بالرغم من أن الحجة لازمة على العباد حتى قبل بعثة الأنبياء، لمعرفتهم بالله بأدلة العقل، لكنهم اغفلوا النظر العقلي مع تمكنهم منه، فكان الهدف من بعثة الرسل ايقاظ الغافلون من غفلتهم لكي لا يصيبهم العذاب، ولكي لا تكون لهم حجة فيقولون إنا كنا غافلين فلو أن الله سبحانه وتعالى بعث إلينا رسولاً ينبهنا لكنا آمنا.(السيد-1998م- 161-162).

وبهذا يذهب جمهور المعتزلة إلى أن الشريعة النبوية متممة ومؤكدة للشريعة العقلية لقوله تعالى: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ (صورة الملك: 10)، فالجمع بينهما الأساس الذي يدور عليهما مدار التكليف، وما هذا إلا لأن العقل وحده لا يستطيع أن يصل إلى مواقيت الأعمال ومقاديرها. وقد رأينا كيف رد الجبائي: " الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام، ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها عقل، ولا يهتدي إيها فكر، وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع، وعقاب العاصي". (عبد الجبار-1972م-221)

وفي هذا السياق نود التنبيه إلى وجود فارق جوهري بين ما ذهب إليه المعتزلة في قولهم بالشريعة العقلية، وموقفهم من ضرورة بعثة الأنبياء والرسل، وبين ما ذهب إليه البراهمة من إنكار الرسل وإثبات الشريعة العقلية وحدها، فالبراهمة يرون أن العقل كاف في إدراك الحسن والقبح، وأن الأحكام العقلية مطلقة، فلا حاجة في نظرهم إلى إرسال الأنبياء.

أما المعتزلة فعلى الرغم من اتفاقهم مع البراهمة في القول بدلالة العقل في حسن الأفعال وقبحها، إلا أنهم خالفوهم في مسألة النبؤة، إذ لا يمنع عندهم أن يبعث الله تعالى رسلاً، مع أنه قد منح العباد عقولا تهديدهم سبيل الرشاد، لأن في إرسال الرسل حكمة إذ فيها في بيان لحال المكلَّف، وتفصيل لأمور الدين، وتعليم الشرائع، وإقامة الحجة على العباد. (صبحي، 1983، 76-77)

وبهذا تكون بعثة الأنبياء باعتبارها لطفاً من الألطاف تكون مساندة للعقل من أجل الوصول إلى الطريق الصحيح، ومنبه له من غفلته أو سهوته اللتين يمكن أن يقع فيهما – وهذا ما يؤكده الشهرستاني نقلا المعتزلة قائلاً: "اتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر المنعم، واجبة قبل ورود الشرع، والحسن والقبح، يجب معرفتها بالعقل، وورد التكاليف ألطاف للباري تعالى أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام امتحاناً واختياراً". (الشهرستاني، 1975، 43)

الخاتمة

توصلنا في ختام هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، نجملها في النقاط التالية:

1-لا يمكن أن يختزل مفهوم اللطف الإلهي عند المعتزلة في

إطار اصطلاح ديني محدود الدلالة، بل يفهم بوصفه رؤية ميتافيزيقية – عقلانية تؤسس لعلاقة الفعل الإلهي بالفعل الإنساني بمقتضى العدل والحكمة الإلهين، فاللطف بمثابة فعل إلهي معين ودافع للإنسان على تنفيذ ما يختاره من الأفعال دون إلجاء أو إكراه، كي يختار الإنسان ما يختار، ويترك ما يريد تركه.

2-تمسك المعتزلة بفكرة وجوب اللطف الإلهي، فقد أوجبوا على الله بعض الألطاف، كالتكليف، وبعثة الأنبياء، والشرائع، والصلاح ولأصلح الى غير ذلك، فإن لهذا الوجوب معنى عقلياً خالصاً، وهو ما يقتضيه العدل الإلهي بتنزيه الذات الإلهية عن الظلم وفعل القبيح، والحكمة الإلهية وخيرية الأفعال الإلهية، وليس المعنى الظاهر الوجوب الحتمي والإلزامي.

3-أحصى المعتزلة تجليات مظاهر اللطف الإلهي، وجعلوا أبرز تجلياته حكمته وعدله أن كل فعل من أفعاله سبحانه وتعالى نوع من اللطف فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وزيادة الدواعي والصوارف والإلطاف، استحقاقاً للثواب والعقاب، وهذا لا يتم إلا بإكمال العقل: وهو أوجب الإلطاف، وأول مقتضيات التكليف، وبه يستطيع الإنسان النظر والاستدلال المؤدي لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وايضاً بمقتضى العقل يستطيع المكلف أن يؤدي الواجبات ويترك المقبحات استحقاقاً للثواب والعقاب، والعلم بسائر ما كلف به شخصاً وعقلاً. كذلك من ألطافه تعالى إلى جانب إلزام حجة العقل بعثه الأنبياء: وتبليغهم الدعوة وتفصيل أمور الدين وتعاليم الشرائع، وبيان أحوال المكلفين وذلك لإزاحة العلة، وإلزامهم الحجة أمام العباد، ولم يقتصر لطفه تعالى بإكمال العقل وبعثه الأنبياء، بل الزم عباده بالشرعيات: التي هي ألطاف في العقليات، إذ بها يكون المكلف أقرب إلى اختيار الطاعة وأداء صالح الأعمال، وأبعد ما يكون عن المعصية وترك المقبحات، فالألطاف هي تفضيل من الله على العباد. فاللطف الإلهي هو تفضل من الله والتعبير العملي لعدل الله ورحمته بالعباد، وهو الأساس الذي يضمن إمكان التكليف واستحقاق الجزاء والمسئولية الأخلاقية، ويعكس رؤية إنسانيّة تجعل الإنسان فاعلًا حرًّا وعاقلًا ومسؤولًا، وتُبرز عدل الله ورحمته وحكمته. وبهذا مثّل اللطف الإلهي أحد أبرز مظاهر النزعة الإنسانيّة التي طبعت الفكر الاعتزالي، وجعلته مدرسة عقلانية أخلاقية بامتياز اهتمّت بإنصاف الإنسان وتكريمه في سياق التكليف الديني.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر

1. أبي الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق: محي الدين محمد عبد الحميد (المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1990م).
2. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ط3، (بدون، دار صادر، 1414هـ).
3. أبو حسين الخياط: الانتصار والردّ على ابن الراوندي المجلد، تحقيق وتعليق الدكتور نيبرج، (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1925م).
4. الباقلاني: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، ط2، (المكتبة الأزهرية للتراث، 2000م).
5. الجويني: الشامل في أصول الدين، تحقيق: علي النشار، وفيصل عون، سهير مختار، (الإسكندرية، منشأة المعارف، 1969م).
6. الشهرستاني: الملل والنحل، على هامش كتاب (الفصل في

Doi (https://doi.org/10.37375/foej.v5i1.3807)
ISSN : 3740-2791
26 يناير 2026

الملل والأهواء والنحل) لابن حزم، ط2، (بيروت، دار المعرفة، 1975م).

7. الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس (ليبيا–تونس، الدار العربية للكتاب، ب.ت)

8. القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج11 (التكليف) تحقيق محمد علي النجار وعبد الحليم النجار، (القاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، 1965م).

9. المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج13، (اللطف) تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي، (القاهرة، الدار الحرية العامة، 1962م).

10. المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج 17 (الشرعيات) تحقيق أمين الخولي، مراجعة طه حسين (القاهرة، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، 1963م).

11. شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط1، (مكتبة وخبة، 1965م)

12. فرق وطبقات المعتزلة، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار وعصام الدين علي (القاهرة، دار المطبوعات الجامعية، 1972م).

13. الملاحمي: الفائق في أصول الدين، تحقيق ويلفرد ماد لونك ومارتين مكدرمت، ط1 (جامعة برلين الحرة، المعهد الإيراني للفلسفة، 2007م).

14. الشهرستاني: نهاية الاقدام في علم الكلام، صححه ألفرد جيوم، (اكسفورد، لندن، 1931م).

ثالثاً: المراجـــع

1. أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ط2، (القاهرة، دار المعارف، 1983م).

2. أحمد محمود صبحي: في علم الكلام (المعتزلة)، ج1، (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 2002م).

3. محمد عيسى الكساسبة: اللطف الإلهي عند متأخري الأشاعرة مقارنة بالفكر السني، مجلة رايات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، المجلد 43، العدد1، 2016م.

4. محمد صالح السيد: الخير والشر عند القاضي الجبار، (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م).

5. محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، ط6، (القاهرة، دار قباء الحديثة، 2006م).